باقر العلم

سراج الورى

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٥

باقر العلم

سراج الورى

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

إن ثورة التغيير الشاملة على الظلم والانحراف التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام لم تغب صورتها واهدافها عن الإمام الباقر عليه السلام، فقد كان بعد أبيه الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو الوصي والقائم بشؤون الإسلام، فبرز بالفضل والزهد والسؤدد وكان أنبه الناس ذكراً وأجلهم عند العامة والخاصة والأعظم قدراً في نفوس المسلمين وظهر على يديه علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الادب، روى عنه العلماء والمحدثون من بقايا الصحابة والتابعين وصار بالفضل علما يضرب به الامثال وحمل من علمه الراجل والراكب وتغنت به الشعراء والادباء وقد مدحه مالك بن أعين الجهني فقال:

إذا طلب الناس علم القرآن ... كانت قريش عليه عيالا

وإن قيل أين ابن بنت النبي ... نلت بذاك فروعاً طوالا

نجوم تهلل للمد لجين ... جبالاً تورث علماً جبالا

وكيف لا وهو غصن الدوحة المحمدية وشمائل الصفوة العلوية. وهو عيش العلم وموت الجهل هو الذي يعبر حكمه عن علمه وصمته عن منطقه وظاهره عن باطنه الذي لا يخالف الدين ولا يختلف فيه، وهو الذي ازاح الباطل عن مقامه وقطع لسانه من منبته، فهو من بيت يُهتدى به في الظلماء ويتنسم العلياء.

كان دور الإمام الباقر عليه السلام هو القيام بتأصيل الفكر الأسلامي وهدم كل بناء منحرف عن الخط الالهي المرسوم للمجتمع البشري فإن كل أمة تحتاج الى مربي يوجهها الى صلاحها ودفع خطط الانحراف الفكري الذي يحدث عن قصد وعمد أو لا . فقد واجه الإمام عليه السلام الفقهاء الذين جعلوا الدين في خدمة الحكام فوضعوا الاحاديث في كل المجالات بقصد تبرير سلوك الحكام حتى وصل بهم الامر الى إيهام الناس عن نصوص واضحة جلية من القرآن والسنة، ولهذا انبرى الإمام عليه السلام لفضح تلك الممارسات من خلال مناظراته مع بعضهم سواء كانوا من الحكام او من الفقهاء. وبما إن دور الإمامة هو المكمل للرسالة ومتمم لها فإنه قد يكون وسيلة لهداية الامم والافراد الذين يدخلون في الدين الاسلامي في حياة النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وفي هذا البحث سنتناول بعض إسهامات الإمام الباقر عليه السلام من خلال وقفات على بعض ادواره.

مواجهة السلطة للإمام عليه السلام

قبل الدخول في حياة الإمام العلمية علينا أن نقرأ الوضع الذي كان يعيشه الإمام في زمن السلطة الاموية التي لم تضع نصب اعينها سوى المصالح الشخصية ورغبتها في الحكم مدة أطول، فقد كانت تحارب كل كلمة من شأنها زعزعة وضعها السياسي، وكانت تقمع أي صوت ينادي بحقوق المسلمين ورفع الحيف عنهم، ومن جانب اخر كانت تغدق بالاموال على الفقهاء وا لمحدثين الذين يحسّنون صورة الحاكم الاموي ويضعون لباس القدسية عليه. أصبح وضع المسلمين مأساوياً وذلك بسبب فرض الضرائب وا لجباية، حيث اصبح همّ الإنسان العمل والانشغال بالامور المعيشية، هذا من جانب، ومن جانب آخر يمكن القول ان الاحباط الذي اصاب الامة بسبب الحكام التي كانت تتصور فيهم ان يكونوا قدوة وأسوة هم من اشد الناس واكثرهم فساداً[1]، فكان هذان العاملان وعوامل اخرى سببا لانحطاط الفكر الإسلامي وجموده، فعاد الناس الى جاهليتهم الاولى من التفاخر بالاباء والأنساب وازدراء القوميات الاخرى من المسلمين حتى وصل الامر في ذلك الوقت ان يكون المسجد منبراً للقصاصين فيتحدثون في قصص الامم السابقة والقبائل، ويدخل في حديثهم الاساطير والخرافات.

في قبال هذا التهافت الفكري وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام موقفاً حازماً تجاه هذا السلوك الخاطيء فاستخدم الأئمة عليهم السلام المسجد مركزاً علمياً لكافة الفنون والمعارف الاسلامية وكان لضعف وتصدع اركان الدولة الاموية ظرفاً مناسباً لنشر وفتح اول جامعة علمية وهي مدرسة اهل

(١) . يراجع بحار الانوار ج ٤٦، ص٣٧٧ رواية الثمالي.

البيت عليهم السلام التي ابتدأها الإمام الباقر عليه السلام. واستمر بعده الإمام الصادق عليه السلام إذ قامت بدورها من خلال نشر الحديث النبوي وتدريس الفقه والاصول والقرآن والمعارف الاخرى

ولكن ما لبث الإمام ينشر الوعي بين اوساط المسلمين عمدت السلطة الى محاربته وتضعيفه بعدة اساليب .

الإسلوب الاول:

اسلوب الإذلال والانتقاص من الإمام عليه السلام

عن ابي بكر الحضرمي قال: لما حمل الإمام ابو جعفر عليه السلام الى الشام الى هشام بن عبد الملك وصار ببابه قال لأصحابه ومن كان بحضرته من بني أمية: إذا رأيتومني قد وبخت محمد بن علي ثم رأيتموني قد سكت فليقبل عليه كل رجل فليوبخه، ثم أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر عليه السلام قال بيده: السلام عليكم فعمهم بالسلام، ثم جلس فازداد هشام عليه حنقا بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن، فأقبل يوبخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا الى نفسه وزعم أنه الإمام سفها وقلة علم، ووبخه بما أراد أن يوبخه فلما سكت أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبخه حتى انقضى آخرهم، فلما سكت القوم نهض عليه السلام قائماً ثم قال: أيها الناس إين تذهبون وأين يراد بكم، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم أخركم، فإن يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكا مؤجلاً، وليس بعد ملكنا ملك لأنا أهل العاقبة، يقول الله عز وجل

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فأمر به الى الحبس فلما صار الى الحبس تكلم، فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشفه وحنّ اليه، فجاء صاحب الحبس الى هشام فقال: يا أمير المؤمنين إني إخاف عليك من أهل الشام ان يحولوا بينك وبين مجلسك هذا، ثم أخبره بخبره، فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه الى المدينة يردوا الى المدينة وأمر ان لايخرج لهم الاسواق وحال بينهم وبين الطعام والشراب ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شراباً حتى انتهوا الى مدين .

الاسلوب الثاني:

اسلوب القدح بعلمه او محاولة احراج الإمام بأسئلة كثيرة لا يمكنه الإجابة عليها

روى الزهري حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين عليه السلام في المسجد، فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي، فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم، قال: إذهب اليه وقل له يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون الى ان يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي فيها إنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب، قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال: الله اكبر، إذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الاكل والشرب يومئذ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا «أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» فسكت هشام لا يرجع جوابا [1].

(١) . كشف الغمة للأربلي ج٢/ ص٣٣٨.

الإسلوب الثالث:

اسلوب التعريض بالإمام وإبلاغ الناس بارتداده من اجل قتله

روى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في خبر النصراني (وسنذكره في مقامه) فما تفرق الناس نهض ابي وانصرف الى المنزل الذي كنا فيه، فوافانا رسول هشام با لجائزة وأمرنا أن ننصرف الى المدينة من ساعتنا ولا تحتبس، لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما جرى بين ابي وبين عالم النصارى فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام الى عامل مدين على طريقنا الى المدينة ((أن ابْنَي أبي تراب الساحرين محمد بن علي وجعفر بن محمد الكذابين - بل هو الكذاب(لعنه الله) - فيما يظهران من الاسلام وردا عليّ. فلما صرفتهما الى المدينة مالا الى القسيسين والرهبان من كفار النصارى، وتقربا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما، او يبايعهما او يصافحهما، او يسلم عليهما، فإنهما قد ارتدّا عن الاسلام، ورأى أمير المؤمنين أن تقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما شر قتلة[1].

وايضاً كانت له محاولة اخرى لقتل الإمام بواسطة عامله على المدينة وقد كتب اليه أن يختال في سم ابي (والكلام للإمام الصادق عليه السلام) في طعام وشراب، فمضى هشام ولم يتهيأ له في ذلك من شيء[2].

(١) . دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري ص ٢١٨.

(٢) . دلائل الإمامة: محمد ين جرير الطبري ص ٢١٨.

الإسلوب الرابع:

اسلوب ترهيب الناس بواسطة قتل اصحاب الإمام ومطاردتهم وعدم قبول شهادتهم

بعد وضع العيون على الإمام الباقر عليه السلام ونقل أخباره الى البلاط الاموي وبعد احراج الإمام السلطان الاموي في مركز حكمة واظهار الحقائق للناس عمدت الى اسلوب أخر مع الاساليب السابقة وهو اسلوب اعتقال او قتل او تفسيق اصحابه، وخوفاً على حملة العلم عمد الإمام الباقر عليه السلام وبعده الإمام الصادق عليه السلام على اخفاء حال الرواة والفقهاء من مدرسة أهل البيت عليهم السلام قال جابر (دخلت على ابي جعفر عليه السلام وأنا شاب فقال من أنت؟ قلت: من اهل الكوفة قال ممن؟ قلت من جعفي قال ما اقدمك الى المدينة قلت طلب العلم. قال ممن قلت منك قال فإذا سألك احد من اين انت فقل من اهل المدينة، قال قلت اسألك قبل كل شيء عن هذا أيحل لي ان اكذب، قال ليس هذا بكذب من كان في مدينة فهو من اهلها حتى يخرج)[1] في هذه المحادثة بين الإمام وجابر ا لجعفي نفهم خوف الإمام عليه السلام على مريديه من السلطة الحاكمة حيث وصل الامر بأن يظهر اصحاب الإمام عليه السلام ا لجنون خوفاً من القتل الذي كان يتهددهم فقد أمر الإمام عليه السلام جابراً أن يظهر ا لجنون وكان جابر عائداً من المدينة الى الكوفة فلما اصبح بالكوفة خرج على الناس وفي عنقه كعاب قد عقلها وقد ركب قصبته

أجد منور بن جمهور أميراً غير مأمور

(١) . معجم رجال الحديث ج ٤/ ص ٣٤٠..

فاجتمع الصبيان والناس عليه حتى دخل الرحبة هو يدور والصبيان من خلفه يقولون جُنّ جابر بن يزيد جُنّ، فما مضت الايام حتى ورد كتاب من هشام بن عبد الملك الى والي الكوفة يأمره بقتل جابر ولكن الوالي لم يفعل لانه اعتقد بان جابر كان مجنوناً ولا خوف منه بعد يومه هذا وهذه الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والرجال ولم يعرف احد مثلبة عليه سوى تشيعه ويا لها من مثلبة وما اعظم الرجل حينما تكون مثالبه مناقبه قال سفيان الثوري «جابر الجعفي صدوق في الحديث الا انه كان يتشيع».

وأما حامل العلم العظيم محمد بن مسلم الذي قال عنه الإمام الصادق عليه السلام وفي بريد بن معاوية العجلي وابي بصير وزرارة، وبشر المخبتين بالجنةاربعة نجباء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست، وقال فيهم اصحاب ابي كانوا زيناً احياء وامواتاً، هؤلاء القوامون بالقسط القوالون بالصدق وهؤلاء السابقون اولئك المقربون هذه حاله واحوال اصحابه الثلاثة، ويعيش مطارد ويخفي نفسه متستراً من اعين السلطة، وكان حاله اشد حيث صدر من الائمة كلام فهمت العامة منه انتفاص لزرارة فسأل ابنه عبد الله الإمام الصادق عن حال أبيه فأجاب الإمام عليه السلام إقرأ مني على والدك السلام وقل له: إني اعيبك دفاعاً عنك، فإن الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه ومهدنا مكانه لادخال الاذى فيمن نحبه ونقربه، ويرمونه لمحبتنا وقربه ودنوه منا، ويرون إدخال الاذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن، فإنما اعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا، وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الاثر بمودتك لنا ولميلك إلينا. فأحببت ان أعيبك ليحمدوا امرك في الدين بعيبك ونقصك، ويكون بذلك من دافع شرهم عنك، يقول الله عز وجل ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ

يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ .

وهنا يعجز اللسان عن البيان بعد قول إمام البيان وأبن إمامه في بيان حالة اصحاب الائمة وظروف عصرهم ومعانتهم من السلطان والناس ايضاً، ونقول ايضاً التصفية على أتباع أهل البيت عليهم السلام كيف كانت، نستظهره من قول الصادق عليه السلام «فأحببت ان أعيبك ليحمدوا امرك في الدين بعيبك ونقصك» فإن كل من كان قريباً عند الائمة كان محارباً، وكل من كان عدواً لهم كان مبجلاً.

الإمام والقرآن

في هذا الفصل سنتكلم عن القرآن الذي هو المعجز الخالد وعلاقة أهل البيت عليهم السلام به وخاصة الإمام الباقر عليه السلام فنقول جواباً عن سؤال ما هو القرآن

القرآن هو الوحي الالهي المنزل اوحاه الله تبارك وتعالى لنبيه الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذي اعجز البشر عن مجاراته في البلاغة وفيما احتوى وحمل من الحقائق والمعارف فإن العلوم والفنون والنظريات اليقينية الثابتة والتعطيلات الاجتماعية والرؤى الاقتصادية والسياسية والاخلاق الصحيحة نجد لها مستنداً في القرآن ومرتكزاً، بخلاف الكتب والمؤلفات للعلماء والمفكرين والفلاسفة حينما تتطور النظريات نجدها بسيطة وساذجة بالنسبة لما بعدها. فمثلاً إن أعاظم الفلاسفة كطاليس وسقراط وافلاطون وارسطو الذين اعترف لهم الرجال بأبوتهم الفكرية اصبحت آراؤهم مدحوضة وإنما تذكر لمجرد ثبوت تأريخ البحث في هذا المجال او ذاك. ولكن القرآن بقي على طراوته وجلادته وعلى سمو مقاصده وأفكاره ولم يظهر فيه خطأ في نظرية علمية أو غيرها من المعارف التي طُرحت.

قال الصدوق فيه (القرآن) اعتقادنا فيه هو كلام الله ووحيه تنزيلاً، وقوله في كتابه: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وإنه القصص الحق، وإنه لحق فصل، وما هو بالهزل، وإن الله تبارك وتعالى محدثه منزله وربه حافظه والمتكلم به).

ويتميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية بآفاقه اللا متناهية كما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه،

فإن التوراة تركز على اهمية بني اسرائيل وهم شعب الله المختار فقط ولا يوجد فيه شيء أخر حتى إن التذكير بالإخرة الذي هو من خصائص الالهيين فإن التوراة خالية منها

أماالإنجيل فهو عبارة عن كتاب اخلاقي خالي من التشريعات ومن غيرها من الاحكام [1].

وقد عبر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره) وقال ايضاً (وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون).

يقول الشيخ سبحاني بعد مقدمة له في القرآن: ولاجل ذلك صار القرآن الكريم، النسخة الثانية لعالم الطبيعة الذي لايزيد البحث فيه والكشف عن حقائق الا معرفة إن الإنسان لا يزال في الخطوات الاولى من التوصل الى مكامنه الخفية واغوراه البعيدة. والمترقب من الكتاب العزيز النازل من عند الله ا لجليل، هو ذلك وهو كلام من لا تتصور لوجوده وصفاته نهاية، فيناسب ان يكون فعله مشابهاً لوصفه ووصفه حاكياً عن ذاته، وبالتالي يكون القرآن مرجع الاجيال وملجأ

(١) . الكلام هنا عن التوراة والانجيل الموجودة في هذا الزمان وليس التوراة والانجيل المنزل على موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام.

البشرية في جميع العصور [1]. أما أهداف القرآن فيمكن أن نبوبها وإن كانت كثيرة حسب نزول السور القرآنية فإن لكل سورة مضمون خاص وإن كانت في التفصيلات (الآيات) تتطابق مع بعض التفصيلات في سور اخرى.

الهدف الاول: الإنذار والتذكرة.

وهي تخويف الناس من ترك مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه المولى والمجتمع، والتذكرة هي تنبيههم على مسؤولياتهم وآثارها في حفظ المجتمع قال تعالى.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾[2]، وقال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[3].

الهدف الثاني: ضرب الامثال والعبر لتقريب الصورة والآثار والنتائج للإيمان والكفر

قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(١) .المناهج التفسيرية في علوم القرآن ص ١٧.

(٢) . الانعام / آية ١٩.

(٣) . ق / آية ٤٥.

الهدف الثالث: إقامة الحجة والبرهان للناس للنهوض بالإنسان من الجانب الفكري زيادة على الجانب الظاهري عنده، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

الهدف الرابع: كتاب دستوري وشريعة في فصل الاحكام

قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

الهدف الخامس: الحكم والفصل للخلافات بين المسلمين

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

الهدف السادس: للقرآن الدور التصحيحي والتكميلي للإنسان فإن الرسالات السماوية جاءت لتكمل الإنسان مرحلة بعد مرحلة،والقرآن أتم الشرائع وأوسعها والهداية الى بلوغ الإنسان الى مرحلة الكمال الإنساني، هذا من جانب الدور التكميلي، وإما الدور التصحيحي فإن الاسلام جاء ليصحح الانحراف الذي أصاب الرسالات السماوية السابقة

قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] .

هذا اجمال لأهداف القرآن للإنسانية، وقد قام الرسول الاعظم ببيان هذا الكتاب العظيم للمسلمين حسب استعدادهم وقابليتهم الخاصة، ويقرب الناس كل على حسب فهمه ويحل للمسلمين ما تعترضهم من مشاكل في تفهّم النص الشريف، وأما دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن العظيم فكان مميزاً بما اختصهم ربهم من طريق النبي الاكرم صلى الله عليه وآله فكان دورهم هو تربية وتعليم وارشاد الى معالم التفسير، كانوا يقفون على دقائق ورموز هذا الوحي الالهي حيث كان تفسيرهم للكتاب العزيز نموذجاً رائعاً وكانوا يعرضونه على الامة عامة وعلى علمائهم خاصة لكي يتعرفوا على اساليب التفسير وإثبات القواعد الرصينة لفهم هذا المعجز الالهي وهذا يدل على حرصهم الشديد على ان تتمسك الامة الإسلامية بالكتاب وتجعله وسيلة للوصول الى السعادة في الدارين، وحيث إننا في هذا الكراس بحثنا يدور عن الإمام الباقر عليه السلام سنستعرض دوره في هذا المجال وكيف كان ينبّه على خطورة الانصياع الى كل من جلس على كرسي التفسير فعن بريد بن معاوية عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت له: قول الله ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال {الباقر عليه السلام}: إيانا عنى [2] ، وقال أبو جعفر عليه السلام « ما اجد من هذه الامة من جمع القرآن إلا الاوصياء»[3]، وقال

(١) . المائدة / آية ٤٨.

(٢) . بصائر الدرجات / ص٢٢٤.

(٣) . بصائر الدرجات/ ص ٢١٤.

صلوات الله عليه «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأوليه»[1].

المدارس التفسيرية

كان في زمن الإمام عليه السلام الكثير من المفسرين الذين ينتمون الى مدارس مختلفة في التفسير من أمثال قتادة بن دعامة البصري وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري والضحاك بن مزاحم الهلالي وكل اولئك كان ينتمون الى مدرسة من مدارس التفسير. فإنه حينما ارتحل صحابي في بلد اسلامي يكون قد شيد مدرسة ثبت من خلالها معالم الكتاب والسنة ومن بعض اشهر المدارس التفسيرية خمسة هي:

١. مدرسة مكة

وهي التي أقامها عبد الله بن عباس في عام ٤٠ هـ الى حين وفاته في الطائف سنة ٦٨هـ وكان ابن عباس نشر المعارف القرآنية الي أخذها من أمير المؤمنين عليه السلام وقد تخرج على يديه شخصيات مشهورة مثل سعيد بن جبير الذي انقطع بعدها الى الإمام زين العابدين والإمام الباقر وسنذكره في تلامذته وعطاء وعكرمة ومن هؤلاء من عرف بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام فهذا عكرمة ينسب اليه أنه كان ينادي في السوق إن آية التطهير نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وكان يصد عليها فيقول (من شاء باهلته أنها نزلت في ازواج النبي صلى الله عليه وآله)[2] الامر الذي لا يقوم به سوى معاند حاقد على أهل البيت عليهم السلام وقال عنه ابن سعد في الطبقات: كان يقيده (ابن عباس) فيعلمه القرآن ويعلمه السنن،وقال

---

(١) . بصائر الدرجات / ص٢٢٤.

(٢) . الدر المنثور ج ٦ / ص٦٠٣.

أبو نعيم الاصفهاني (كان يضع في رجله الكَبْل) [1].

٢. مدرسة المدينة

قامت على الصحابة الموجودين فيها ولا سيما أُبي بن كعب الذي توفى سنة ٣٠هـ ويكون شاهد عليها في اختلاف الصحابة فيما بينهم على ما تتجه من اختلاف في التفسير فيروى ان البعض منهم قال اني سمعت رسول الله يقرأ (الشيخ والشيخة) الى آخر كلامه ويعتقد إنها من القرآن وصل الاختلاف الى درجة أن أضاف نص على النص القرآني!!!.

٣. مدرسة الكوفة

أقام دعائمها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وكانت من اكثر المدارس توسعاً وشمولاً لمعاني القرآن والفقه والحديث، وكان من طلاب هذه المدرسة من هو موالٍ لأهل البيت عليهم السلام مثل علقمة بن قيس النخعي الثقة الجليل الذي توفى سنة ٦٢ هـ، ومنهم من روى عنه انه كان يسب علياً مثل الأسود بن يزيد النخعي ومنهم من كان عشاراً (يأخذ الجباية) لمعاوية الى ان مات مثل مسروق بن الاجدع [2]

٤.مدرسة البصرة

وهي التي أقامها أبو موسى الاشعري حينما ولاه عمر بن الخطاب ثم أقره عثمان عليها وبعد مدة من الزمن عزله عثمان، ولما عزل عثمان

(١) . حلية الاولياء ج٣ ص٣٢٦.

(٢) . رجال الكشي / ص٩١.

سعيدا عن الكوفة ولى الاشعري عليها، وكان هذا الرجل منحرفاً عن علي عليه السلام وكان يراود معاوية في السر[1]

وهو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم القرآن وتخرج على يديه جماعة من التابعين [2] وكانت هذه المدرسة ذات انحراف شديد وكانت ارضاً خصبة لنشوء كثير من البدع والانحرافات العقائدية والفكرية وبالاخص في مسائل الإمامة والعدل [3].

٥. مدرسة الشام

نزل ابو الدرداء الانصاري الى الشام وتولى فيها القضاء أيام عمر بن الخطاب وتوفى في أيام عثمان وكان أبو الدرداء مؤمناً فقيهاً حكيماً وكان من الثابتين على موالاة أهل البيت عليهم السلام قال هشام بن عروة كنا جلوساً في حلقة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله نتذكر أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا اخبركم بأقل القوم مالاً واكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ فقالوا من؟ قال ذاك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، قال عروة: فوالله ما نطق أبو الدرداء بذلك إلا واعرضنا عنه في المجلس، ثم أنتدب له رجل من الانصار قال له: يا عويمر (أبو الدرداء) لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها احد منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم، أني قائل ما رأيت، ليقل كل قوم منكم ما رأوا... ثم أخذ في بيان مواضع علي عليه السلام من البكاء والعبادة[4].

---

(١) . ابن سعد في الطبقات ج ٤/ ص٨٣.

(٢) . حسب رواية ابي رجاء في المستدرك للحاكم ج ٢/ ص٢٢٠.

(٣) . يتصرف في كتاب التفسير والمفسرين لمعرفة.

(٤) . امالي الصدوق / ص٦٩ . ٧٠.

وبعد هذا العرض لأهم المدارس التفسيرية نجد أن مدرسة البصرة وكل ما أنتجت ما هي إلا أثر لرجل يميل عن أهل البيت ويود اعداءهم. فحري أن لا يعطي إلا ما يشتهيه ويذهب بالمقاصد القرآنية إلى غير وجهها، ومدرسة الكوفة ومكة وإن كان أعلامها -عبد الله بن مسعود وابن عباس- من خيرة الأصحاب والعلماء بنص النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلا أن من تلامذتهم من قرأت سيرته في الانحراف، وأما مدرسة الشام والمدينة فقد قرأنا رواية هشام بن عروة بن الزبير وكيف أشاح الناس بوجههم عنه {أي أبو الدرداء الأنصاري} حين ذكر علياً عليه السلام من هذا فأفهم حال التفسير والفهم القرآني والنزول للقرآن فمنهم من أخذ بهواه ومنهم من أخذ برأيه ومنهم من قاس، قال إمامنا الصادق عليه السلام : قد أنزل الله القرآن وجعل فيه بيان كل شيء وجعل للقرآن وتعلّم القرآن أهلاً له لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم وكرامة من الله تعالى أكرمهم بها وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم وهم الذين من سألهم -وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم- أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغم عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله تعالى علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، فأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً وجعلوا ما حرّم الله في كثير من الأمر حلالا فذلك أصل ثمرة

أهوائهم[1].

وبعد هذا الحديث الشريف وما كان من شأن المدارس وتلامذتها ووضع الحكومة آنذاك نجد صعوبة التأسيس للمدرسة التفسيرية الصحيحة فإن الناس كانوا يعتقدون في هؤلاء ما يعتقدون فكان من الصعب إثبات الآراء السليمة ودحض الآراء السفيهة والمنحرفة لأن الظاهرة العامة للمسلمين السذاجة والثقة بأناس كانوا يعتقدونهم من أهل الدين والصلاح وعلى الرغم من ذلك فقد أنشأ الإمام عليه السلام مدرسته وتخرج على يديه أكابر المفسرين من أمثال

١ .سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي من أصل حبشي الذي انقطع إلى الإمام الباقر عليه السلام مدة حياته الباقية إلى أن قتله الحجاج.

٢ .سعيد بن المسيب، قال عنه ابن خلكان كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وأحد الأوتاد الذين ثبتوا على الاستقامة في الدين على ما وصفهم الفضل بن شاذان قال: ولم يكن في زمان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي[2]، وقال عنه الإمام الباقر عليه السلام : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفهمهم في زمانه[3].

٣ .إبان بن تغلب بن رباح البكري كان إذا قدم إلى المدينة تقوَّضت له

---

(١) الكافي: ج٨/ ص٥، البحار: ج٧٥/ ص٢١٤.

(٢) وفيات الأعيان: ج٢/ ص٣٧٥.

(٣) التفسير والمفسرون: ج١/ص٤٨١.

الحِلَق وأخليت له سارية النبي ﷺ وكان ذلك بأمر الإمام الباقر عليه السلام قال له : اجلس في مسجد المدينة وافْتِ الناس، فإني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك[1]، وصنف كتاب الغريب من القرآن وذكر شواهده من الشعر.

٤ .جابر بن يزيد ا لجعفي: ممن وثقه أهل الحديث والرجال قال وكيع: مهما تكتم من شيء فلا تشكُّوا في جابر ثقة [2].

له كتاب في تفسير القرآن وقد مر علينا ذكره في اساليب محاربة السلطة للإمام.

وعوداً على شأن الإمام في التفسير فقد بذل الإمام عليه السلام ا لجهد ا لجهيد من أجل إظهار المقاصد القرآنية للأمة حيث كان يظهر المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة للإلفاظ والتاؤيل واليك نموذج من تفسير الإمام عليه السلام

روى الشيخ الكليني بإسناده الى زرارة سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: ألا تخبر ني من أين علمت وقلت إن المسح ببعض الرأس؟ فضحك الإمام عليه السلام ثم قال: يا زرارة، قال رسول الله ﷺ ونزل به الكتاب ثم فصل الكلام فيه وقال: لأن الله عز وجل يقول ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا إن الوجه كلّه ينبغي ان يغسل ثم قال ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ثم فصل بين الكلامين فقال ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال ﴿بِرُءُوسِكُمْ ﴾ إن المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه، فقال: وأرجلكم إلى الكعبين فعرفنا

(١) رجال الكشي: ج١/ص٤٣.

(٢) . تهذيب التهذيب ج٢/ ص٤٧.

حين وصلها بالرأس إن المسح كل بعضها، ثم فسر ذلك رسول الله ﷺ للناس فضيعوه ثم قال: فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، فلما وضع الوضوء إن لم تجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لانه قال (بوجوهكم) ثم وصل بها (وايديكم) ثم قال (منه) اي مثل ذلك التيمم لانه علم ان ذلك اجمع لم يجر على الوجه لأنه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها، ثم قال عليه السلام: ما يريد الله ليجعل عليكم (في الدين) حرج [1].

آية القصر: عن زرارة ومحمد بن مسلم، أنه قال: قلنا للإمام الباقر عليه السلام ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي؟ فقال: إن الله عز وجل يقول ﴿ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر. قالا: قلنا: إنما قال الله عز وجل فليس عليك جناح ولم يقل افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما اوجب التمام في الحضر؟

فقال عليه السلام: أوليس قد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، الا ترون إن الطواف بهما واجب مفروض، لان الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيه ﷺ وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله ﷺ وذكره الله تعالى في كتابه.

قالا: قلنا له: فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير وفسرت له، فصلى اربعاً اعاد، وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه. والصلاة كلها في السفر الفريضة ركعتان لكل الصلاة، الا صلاة المغرب فإنها ثلاث ليس فيها

(١) . الكافي ج٢/ ص٢٩، ٣٠.

تقصير، تركها رسول الله ﷺ في السفر والحضر ثلاث ركعات، وقد سافر رسول الله ﷺ - الى ذي خُشُب - وهي مسيرة يوم من المدينة، يكون اليها بريدان أربعة وعشرون ميلاً فقصّر وأفطر فصارت سُنة وقد سمى رسول الله ﷺ قوماً صاموا حين افطر العصاة. ثم قال: فهم العصاة الى يوم القيامة، وإنا لنعرف أبناءهم وأبناء أبناءهم الى يومنا هذا.

آية الخُمس: قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ذو القربى هم قرابة الرسول والخمس لله وللرسول ولنا [1].

في تفسير قول الله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال الباقر عليه السلام: ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا إذنب خرج في تلك النكتةِ نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، فإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطي البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابدا [2].

قال الباقر عليه السلام في سبب نزول ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ كان حُيَي بن اخطب وكعب بن الاشرف وآخرون من اليهود، لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها، بأمر النبي ﷺ فحرّفوا آياتً من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي أُريد في الآية [3].

---

(١) . وسائل الشيعة ج٥/ ص ٥١٢.

(٢) . الامثل ج ١.

(٣) . تفسير التبيان ج ١/ ص ١٨٨.

هـذا بالنسـبة للتفسـير وأمـا في التأويل فقـد نقل عنـه صلوات الله عليه في قوله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَـانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قال عليه السلام: فلينظر الإنسـان الى طعامـه، قـال زيد الشـحام: قلـت ما طعامه؟ قـال: علمه الذي يأخذه ممن يأخذه [1] .

وعنه عليه السلام سـأله أبو بصير في قوله تعالى ﴿ وَمَـنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال عليه السلام: من استخرجها من الكفر الى الإيمان [2].

عن أبي حمزة الثمالي قال: سـألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿عَـمَّ يَتَسَـاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيـمِ ۞ الَّذِي هُمْ فِيـهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فقـال عليه السلام: كان علـي بن ابي طالب عليه السلام يقـول لاصحابه: أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف في جميع الأمم بألسـنتها، والله ما لله نبأ اعظم مني ولا لله آية اعظم مني [3] .

(١) . المحاسن ج١/ ص ٢٢٠.

(٢) . مستدرك الوسائل ج١٢/ ص ٢٣٩.

(٣) . تفسير فرات الكوفي ص ٥٣٣.

الإمام وعلم الفقه

كان معنى الفقه في الصدر الاول يستعمل في فهم احكام الدين جميعاً سواء كانت متعلقة بالإيمان بالعقائد ما يتصل بها أم كانت احكام الفروج والحدود والصلاة ونحوها وبعد مدة من الزمن تخصص استعماله فصار يعرف بأنه علم الاحكام من الصلاة والصيام والفروض والحدود يقول الشهيد (الأول): استقر تعريف الفقه بأنه العلم بالاحكام الشرعية عن ادلتها التفصيلية لتحصيل السعادة الاخروية [1] من هذا التعريف يظهر لنا أن الفقه سبب لأن يكون الإنسان في الاخرة سعيداً في حال امتثاله الى الاوامر والنواهي الواردة من المشرع، وقد نهض الإمام بهذه المسؤولية في ايامه مع أبيه السجاد عليه السلام وبعده، وإن ما أثر عنه عليه السلام قد يستدعي كتابة وتدوين موسوعة فقهية، حيث روي عنه عليه السلام في كل ابواب الفقه، وكان مرجعاً لجميع المسلمين حين تدهمهم المسائل التي لا يعرفون جوابها وحلها.

روى عبد الله بن محمد الجعفي قال كنت عند ابي جعفر عليه السلام وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك في رجل نبش قبر مرأة ونكحها فإن الناس قد اختلفوا علينا في هذا، طائفة تقول اقتلوه، وطائفة قالوا حرّقوه فكتب اليه أبو جعفر عليه السلام إن حرمة الميت كحرمة الحي حده مائة [2].

والى جانب البيان للمسائل الفقهية كان صلوات الله عليه يعلم

---

(١) . جامع المقاصد ج١/ ص١١.

(٢) . الاستبصار ج٤/ ص ٢٢٥.

اصحابه القواعد الشرعية وكيفية استنباط الحكم عند عدم وجود المعصوم فهو أول من فتح باب علم الاصول ــ الذي تربى في حجر علم الفقه وتوسعت مسائله بحيث إن المجتهد لا يستطيع ان يستخرج حكماً فقهياً إلا بواسطته ـ ففتق مسائله حيث املى على جماعة من تلامذته قواعد الفقه واصوله ومن بين هؤلاء زرارة بن اعين ومحمد بن مسلم ومن هذه القواعد:

١. قاعدة الفراغ:

ويقصد بها الحكم على صحة الفعل الموجود في ظرف صحته، قال عليه السلام لمحمد بن مسلم «كل ما شككت به مما قد مضى فأمضه كما هو»[١]، وهي قاعدة فقهية.

٢. قاعدة التجاوز:

وهي الحكم على وجوب الشيء المشكوك بعد الدخول في غيره مما هو مرتب عليه، كما إذا شك في القراءة وقد ركع، قال الإمام عليه السلام «كل شيء شك فيه مما قد جاوزه ودخل في غيره فليمضي عليه»[٢] وهي من القواعد الفقهية ايضاً.

٣. قاعدة نفي الضرر:

وتعني نفي الحكم المؤدي الى ضرر، قال الإمام الباقر عليه السلام لزرارة: إن سمرة بن جندب كان له عذق في حائط رجل من الانصار وكان منزل الانصاري في باب بستان، وكان سمرة يمر الى نخلته ولا يستأذن، فكلمه

(١) . منتقى الجمان ج ٢/ ص ٣١٧.

(٢) . الوسائل ج٦/ ص ٣١٨.

الانصاري ان يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة، فجاء الانصاري الى النبي ﷺ فشكا اليه واخبره بالخبر فأرسل رسول الله ﷺ إليه واخبره بقول الانصاري، وما شكاه، فقال ﷺ: إذا اردت الدخول فاستأذن، فأبى، فلما أبى ساومه ﷺ حتى بلغ من الثمن ماشاء الله، فأبى ان يبيع، فقال ﷺ لك بها عذق يمد لك في الجنة، فأبى أن يقبل، فقال رسول الله ﷺ للانصاري: إذهب فاقلعها وارم بها اليه فإنه لا ضرر ولا ضرار[1]، وهي قاعدة فقهية.

٤. قاعدة الاستصحاب:

وهي حكم المكلف ببقاء شيء وترتيب آثار البقاء فيما كان متيقناً ثبوتاً ومشكوكاً بقاءً، وبعبارة اخرى إن كنت متأكداً أنك متوضىء ثم بعدها شككت أنك نقضت الوضوء فلا تعتني بهذا الشك،

قال الإمام عليه السلام: لا ينقض اليقين بالشك، ولا يدخل الشك في اليقين، ولا يخلط احدهما بالآخر...الى اخر الحديث [2].

٥. التعارض:

وهو فيما إذا وردت اخبار متعارضة في مدلولها (معناها) بين النفي والاثبات فإذا ثبت التعارض فإن الامر لا يخلو من سببين:

الأول: صدور احد الاخبار تقيةً.

الثاني: يكون احد الخبرين من الاخبار موضوعاً عليهم (مكذوب).

لأن الوضع والدس كان كبيراً ولإسباب كثيرة، منها وجود المغالين،

(١) . الكافي ج ٥/ ص ٢٩٣.

(٢) . الفصول المهمة في اصول الأئمة ج ١/ ص ٦٢٨.

وسياسة الحكومة آنذاك بإيجاد رواة على لسان الأئمة أو النبي ﷺ، فوضع الإمام برنامج علاجي نذكر منه ثلاث نقاط:

الأولى:

الشهرة: وتعني إذا كان احد الخبرين اشد شهرة من الآخر فيؤخذ ويطرح الثاني، يقول عليه السلام لزرارة: يا زرارة خذ بما اشتهر بين اصحابك ودع الشاذ النادر [1] .

الثانية:

موافقته للكتاب والسنة: ويعني عرض الخبرين على الكتاب والسنة فإن اتفق احدهما مع منطوق الكتاب والسنة يؤخذ به وما لا يوافقهما يطرح، يقول عليه السلام: لا تصدق علينا إلا بما وافق كتاب الله وسنة نبيه [2].

الثالثة:

الترجيح بالصفات: المقياس الثالث لمعرفة الخبر الصحيح هو النظر في صفات الراوي من حيث الوثاقة والعدالة، يقول عليه السلام: خذ بما يقوله أعدلهما عندك، وأوثقهما في نفسك [3].

وهاتان القاعدتان ـ الاستصحاب و التعارض ـ من القواعد الاصولية ولعلمائنا كلام في تفصيلاتها وكيفية التطبيق.

---

(١) . بحار الانوار ج ٢/ ص ٢٤٥و عوالي اللئاليء ج ٤/ ص ١٣٣.

(٢) . الوسائل ج ١٨/ ص ٨٩.

(٣) . مرآة العقول ج١/ ص ٢٢٦.

الإمام وعلم الاقتصاد

عالج الإمام الباقر عليه السلام من خلال سيرته العملية واقواله أهم المباحث الاقتصادية التي بسببها ينعم الإنسان في الحياة الطيبة والعيش الرغيد، حيث دعا عليه السلام جميع افراد الامة الإسلامية الى السعي الجاد لينعم هو وافراد اسرته بالرفاء ويتجنب الفقر والبؤس وذل الاحتياج الى الناس وطلب ما في ايديهم، قال عليه السلام: من تسلح لطلب المعيشة خفت مؤونته ورخا باله ونعم عياله [1].

إن العلم يطرد الكسل الذي يشل الحياة الاقتصادية للأمة، قال أبو عبد الصادق عليه السلام إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت ارى أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمداً عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني فقال له اصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت الى نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكىء على غلامين اسودين أو موليين فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذاه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا؟ أما لأعظنّه فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام بنهر وهو يتصاب عرقاً فقلت: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذا الحالة في طلب الدنيا، أرأيت لو جاء اجلك وأنت على هذا الحال ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحالة جاءني وأنا في طاعة الله عز وجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنما كنت أخلف لو جاءني الموت وأنا على

(١) . معالم مشعة من حياة الباقر / ص ١٢٤.

معصيــة مــن معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمــك الله أردت أن اعظك فوعظتني[1] .

هــذا مــن جانب ومــن جانب اخر فـإن الإمــام حرر الأمة الإسـلامية مــن التبعيــة الروميــة في مجال سـك العملة فـإن العملــة المتداولة في أيامــه عليه السلام كانت العملة الرومانية وكان هذا النقد يحمل شـعار الدولة الرومانية، وذلك بتعليم عبد الملك بن مروان طريقة سـك العملة، قال عليه السلام لعبد الملك: تدعو في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سككاً للدارهـم والدنانير وتجعل النقش سـورة التوحيد وذكر رسـول الله صلى الله عليه وآله احدهمـا في وجه الدرهـم والاخر في الوجه الثاني وتجعل مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسـنة التي يضرب فيها، وتعتمد الى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الاصناف الثلاثة الى العشرة وزن عشرة مثاقيل، وعشـرة منها من وزن سـتة مثاقيل، وعشـرة منها وزن خمسـة مثاقيـل، فتكـون اوزانها جميعاً واحداً وعشـرين مثقـالاً، فتجزئها من الثلاثـين فيصـير العدة من ا لجميع وزن سـبعة مثاقيـل. وأمره بضرب السـك علـى هذا اللون في جميع العالم الاسـلامي وأن يكـون التعامل بهـا[2]، وبقي تعامل المسـلمين بهذه العملة الى زمـان متأخر في الدولة العباسـية ويبقـى العالم الإسـلامي مديناً لهذه الخدمـة التي حرر بها المسـلمين مـن التبعيـة الاقتصادية،وباقـي خدماته للأمة الإسـلامية وللعالم اجمع.

---

(١) . الكافي ج ٥/ ص ٧٣.

(٢) . شرح اللمعة ج ١/ ص ٢٩٤.

مناظراتهُ

كان للإمام عليه السلام مناظرات مع المسلمين من الفرق الاخرى ومع أهل الديانات الاخرى فكان ا لجواب الحاضر والمقنع عنده، ونعبر عنها تكراراً إن هدف الإمام عليه السلام ارجاع الناس الى الخط الالهي وان لا يعملوا ارآئهم في الدين وأهوائهم وان لا يتركوا سنة الله ورسوله من اجل الرجال وهذا ما سنؤكده في هذه المناظرات:

المناظرة الاولى

١. عن الحسن بن محبوب عن ابي حمزة ثابت بن دينار الثمالي عن ابي منصور عن ابي الربيع قال حججنا مع ابي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع يا أمير المؤمنين من هذا الذي تداك عليه الناس؟ فقال: هذا نبي أهل الكوفة، وهذا محمد بن علي! فقال: أشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وحي نبي قال: فإذهب إليه وسله لعلك تخجله. فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على ابي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، قد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، قال: فرفع ابو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك

قال نافع: اخبرني كم بين عيسى وبين محمد من سنة.

قال الإمام: أخبرك بقولي أو بقولك

قال نافع: أخبرني بالقولين جميعاً

قال الإمام: أما في قولي فخمسمائة سنة، وأما في قولك فستمائة سنة

قال نافع: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ من الذي سأل محمد، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة.

فتلا ابا جعفر هذه الآية ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ حيث أسرى به الى بيت المقدس إن الله عز وجل ذكره الاولين والاخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرائيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في آذانه حي على خير العمل، ثم تقدم محمد ﷺ فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا نشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وإنك رسول الله، أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

فقال نافع: صدقت يا ابا جعفر، فأخبرني قول الله عز وجل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانت رتقاً ففتقناهما.

قال الإمام: إن الله تبارك وتعالى أهبط أدم الى الارض وكانت السماوات رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الارض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلما أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أمر السماء فتقطرت بالغمام ثم

أمرها فأرخت عزاليها، ثم أمر الارض فأنبتت الأشـجار واثمرت الثمار وتفهقت بالأنهار، فكان ذلك رتقها، وهذا رتقها.

قـال نافـع: صدقت يااِبن رسـول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي أرض تبدل يومئذ.

فقـال أبو جعفـر عليه السلام: أرض تبقى خبزة يأكلون منهـا حتى يفرغ الله عز وجل من الحساب.

فقال نافع: إنهم عن الاكل لمشغولون.

فقال أبو جعفر: هم يومئذ أشغل أم إذ هم في النار؟

فقال نافع: بل إذ هم في النار

قال الإمام: فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم

قال نافع: صدقت يااِبن رسول الله، لقد بقيت مسألة واحدة.

قال الإمام: وما هي

قال نافع: أخبرني عن الله تبارك وتعالى الى متى كان؟

قال الإمام: ويلك متى لم يكن حتى أخبرك متى كان! سبحان ما لم يـزل ولا يـزال، فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ثم قال الإمام: يا نافع أخبرني عما أسألك عنه.

قال نافع: وما هو

قال الإمام: وما تقول في اصحاب النهروان، فإن قلت إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت[1]، وإن قلت إنه قتلهم باطل فقد كفرت. فولى نافع من عنده وهو يقول أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً.

فأتى هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال نافع: دعني من كلامك، هذا والله أعلم الناس حقاً حقا وهو ابن رسول الله حقاً ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً.

ولنا تعليق في هذا الحديث في فكر هذا الحاكم الاموي واستهزائه بالعقيدة الاسلامية حيث وصف الإمام الباقر عليه السلام بكونه نبياً وهو فرية واضحة على مذهب أهل البيت. وأيضاً نفهم من خلال كلام هذا الرجل كيف ان الناس تنظر الى الإمام عليه السلام وتقديرهم وأجلالهم من قوله «هذا نبي أهل الكوفة» وأيضاً نعلم كيف يحاول هذا الرجل ان يسقط هيبة الإمام في نفوس شيعته ومحبيه هذا بالنسبة الى هشام، أما نافع فأنه يزعم أن بعد الزمان والمسافة مانع من الملاقاة والسؤال وقد أجابه الإمام عليه السلام بأنه قد وقعت الملاقاة والسؤال ليلة الاسراء وهنا

(١) . قول الإمام الباقر عليه السلام لنافع (فقد ارتددت) لإنه كان ناصبياً مؤيداً لرأي الخوارج في تكفير الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والخوارج هم المارقون من الدين كما روى احمد بن حنبل في فضائل الصحابة ج/٢ ص/٧٠٥، عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله : أن قوماً يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرآون القرآن لا يجاوز تراقيهم، طوبى لمن قتلهم وقتلوه علامتهم رجل مخدج. ويظهر ان نافع هذا غير نافع بن الازرق فإن نافع مولى عمر بن الخطاب هو نافع ين سدجس وكان ديلمياً كما في جامع الاصول. ونافع ين الازرق قتل سنة ٦٥هـ وقتله المهلب بن ابي صفرةولم يكن في زمن الإمام الباقر عليه السلام قال عنه ابن شهر اشوب: ان نافع بن الازرق قال لعب
الله بن عمر أني ابغض علياً فقال عبد الله بن عمر أبغضك الله، أتبغض رجلاًسابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها (معجم رجال الحديث).

في هذه المحاورة أجاب الإمام هذا المخاطب المتعنت على إنكاره وإلا فهو عليه السلام قادر على السؤال في كل وقت أراد إذ لا مسافة في العالم الروحاني.

المناظرة الثانية

عن عيسى بن عبد الله العلوي قال حدثني الاسيدي ومحمد بن مبشر أن عبد الله بن نافع الازرق كان يقول: لو أني علمت إن بين قطريها أحداً تبلغني اليه المطايا يخصمني إن علياً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لرحلت اليه فقيل له: ولا ولده؟ فقال: أفي ولده عالم؟ فقيل له: هذا أول جهلك وهم يخلون من عالم؟! قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي {الباقر} عليه السلام قال: فرحل اليه في صناديد اصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن على ابى جعفر عليه السلام، فقيل له {للباقر}: هذا عبد الله بن نافع، فقال {الباقر}: وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن أبي طرفي النهار؟ فقال له أبو بصير الكوفي جعلت فداك إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحداً تبلغه المطايا يخصمه أن علياً عليه السلام قتل اهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل اليه، فقال له أبو جعفر: أتراه جاءني مناظراً؟ قال: نعم، قال: يا غلام أخرج وحط رحله وقل له: إذا كان الغد فائتنا، قال: أصبح عبد الله في صناديد أصحابه وبعث ابو جعفر عليه السلام الى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم خرج الى الناس في ثوبين ممغرين[1] وأقبل على الناس كأنه فلقة قمر فقال: الحمد لله محيّث الحيث ومكيّف الكيف ومؤيّن الأين الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض ... الى اخر الآية. وأشهد أن لا الله إلا الله {وحده لا شريك له} وأشهد أن محمداً

(١) . ممغرين: أي مصبوغين بطين احمر.

ﷺ عبده ورسوله اجتباه وهداه الى صراط مستقيم، الحمد لله الذي اكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر ابناء المهاجرين والانصار من كانت عنده منقبة في علي بن ابي طالب عليه السلام فليقم ويتحدث قال: فقام الناس فسردوا تلك المناقب ـ فقال عبد الله {بن نافع الازرق}: أنا اروى لهذه المناقب من هؤلاء وإنما أحدث علي الكفر بعد تحكيمه الحكمين ـ حتى انتهوا في المناقب الى حديث خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. فقال ابو جعفر عليه السلام: ما تقول في هذا الحديث، فقال: هو حق لا شكل فيه ولكن أحدث الكفر بعده، فقال أبو جعفر عليه السلام: ثكلتك أمك؟ أخبرني عن الله عز وجل أحب علي ابن ابي طالب يوم احبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال: إن قلت لا، كفرت، قال {الراوي} فقال {عبد الله}: قد علم، قال {الإمام}: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال {عبد الله}: على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر عليه السلام فقم مخصوماً، فقام وهو يقول: حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

(١) . الكافي ج ٨ / ص ٣٤٩ ـ ٣٥١.

المناظرة الثالثة

التفت الإمام عليه السلام الى رجل وقال له: من أنت؟ فقال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة، إن الله عز وجل خلق الخلق فجعلهم جميعاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلة عند يمين عرشه، فسكت فتادة طويلاً ثم قال: اصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء ومع ابن عباس فما اضطرب قلبي من أحد منهم ما اضطرب منك، فقال له أبو جعفر عليه السلام أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿ بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ فانت ثم ونحن اولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين ثم قال قتادة فأخبرني عن ا لجبن، فتبسم الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام وقال رجعت مسائلك الى هذا «اي ضاعت كل مسائلك وما بقيت إلا أن تسأل عن ا لجبن كأن مسائل الدين قدانتهت» قال: ضلت عني، قال له الإمام عليه السلام لا بأس به.

فقال قتادة: انه ربما جعلت فيه انفحة الموت. قال الإمام: ليس بها بأس، أن الأنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم إنما تخرج من بين فرث ودم، ومضى يقول ان الائمة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة فهل تأكل تلك البيضة؟ فقال له قتادة: لا، ولا آمر بأكلها. فقال له أبو جعفر عليه السلام ولمَ، قال قتادة: لانها من الميتة، فقال له الإمام عليه السلام: فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أتأكلها؟ قال: نعم، قال الإمام: فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة؟ وكذلك

الانفحة، فاشترا الجبن من سوق المسلمين ومن أيدي المصلين ولا تسأل عنه الا أن يأتيك من يخبرك عنه [1].

المناظرة الرابعة

قال عبد الله بن محمد الليثي لابي جعفر عليه السلام بلغني إنك تفتي بالمتعة فقال عليه السلام لقد احلها الله في كتابه وسنها رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بها الصحابة. فقال له عبد الله وقد نهى عنها عمر بن الخطاب فقال له الإمام: أنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله عليه السلام فردّ عليه عبد الله بن محمد بقوله: أيسرك أن نساءك فعلن ذلك؟ فقال له الإمام عليه السلام: وما ذكر النساء يا احمق، إن الذي أحلها في كتابه وأباحها لعباده أغْيَرُ منك وممن نهى عنها تكلفا، بل يسرك إن بعض حرمك تحت حائك من حاكة يثرب نكاحاً؟ قال: لا، قال: فلم تحرم ما أحل الله؟ قال: لا أحرم ولكن الحائك ما هو لي بكفأ، قال: أبو جعفر عليه السلام فإن الله ارتضى عمله ورغب فيه وزوجه حوراً، أفترغب عمن رغب الله فيه وتستنكف ممن هو كفأ لحورا لجنان كبراً وعتواً؟ فضحك عبد الله وقال: ما أحسب صدوركم إلا منابت اشجار العلم فصار لكم ثمرة وللناس ورقة [2].

هذه بعض من المناظرات التي دارت بين الإمام عليه السلام وبين العلماء المسلمين ممن كان يعتقد فيهم العلم والفضل والتقوى فبان زيف رأيهم وضعف مستندهم وكيف يفتون الناس بما يسمعون من الناس

(١) . وسائل الشيعة ج ٢٤/ ص ١٧٩.

(٢) . كشف الغمة ص ٢١٤.

!!! ويتركون كتاب الله وقول النبي وسيرته محتجين بأدلة واهية بل موهمين الناس بأدلة ليس لها من الحق شيئاً. وبما إن الدين الاسلامي هو للناس كافة كما اخبرنا الله في كتابه بقوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ فتصدى الإمام لبيان الإسلام وآرائه بعدة طرق منها الاحتجاج على

أهل الديانات الأخرى واظهار سعة علم العلماء الحقيقيين من المسلمين حيث جرت مناظرة بينه وبين عالم من نصارى الشام وقد كان يشار الى هذا العالم النصراني بالبنان ويأخذ النصارى احكام دينهم وامورهم منه. ولقد روت كتب الحديث والتأريخ الحادثة التي يرويها عمر بن عبد الله الثقفي قال: أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام من المدينة الى الشام فأنزله منه وكان يقعد مع الناس في مجالسهم فبينا هو قاعد وعنده جماعة من الناس يسألونه إذ نظر الى النصارى يدخلون في جبل هناك فقال:ما لهؤلاء؟ ألهم عيد اليوم؟ فقالوا: لا يا ابن رسول الله ولكنهم يأتون عالمهم في هذا ا لجبل في كل سنة في هذا اليوم فيخرجونه فيسألونه عما يريدون وعما يكون في عامهم فقال أبو جعفر عليه السلام وله علم؟ فقالوا: هو من أعلم الناس قد أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام قال: فهل نذهب اليه؟ قالوا: ذاك اليك يا ابن رسول الله ، قال: فقنع أبو جعفر عليه السلام رأسه بثوبه ومضى هو وأصحابه فاختلطوا بالناس حتى أتوا ا لجبل فقعد أبو جعفر عليه السلام وسط النصارى هو وأصحابه وأخرج النصارى بساطاً، ثم وضعوا الوسائد، ثم ادخلوا فأخروجه ثم ربطوا عينيه (اي ربطوا حاجبيه)، فقلب عينه كأنها عين أفعى ثم قصد الى أبي جعفر عليه السلام فقال: يا شيخ أمن النصارى أنت أم من الامة المرحومة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام بل من الامة المرحومة، فقال: أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم؟ فقال: لست من جهالهم فقال النصراني اسألك ام تسألني؟ فقال أبو جعفر عليه السلام

سلني، فقال النصراني: يامعشر النصارى رجل من أمة محمد يقول سلني إن هذا المليء بالمسائل ثم قال: يا عبد الله أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أي ساعة هي ؟ فقال: أبو جعفر عليه السلام ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، فقال: النصراني: فإذا لم تكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: من ساعات الجنة وفيها تضيق مرضانا، فقال النصراني: فأسألك أم تسألني ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام سلني، فقال النصراني: يا معشر النصارى إن هذا المليء بالمسائل، أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثلهم في الدنيا ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكله أمه ولا يتغوط، فقال النصراني: ألم تقل: ما أنا من علمائهم؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما قلت لك: ما أنا من جهالهم، فقال النصراني: فأسألك أوتسألني، فقال أبو جعفر عليه السلام سلني، فقال النصراني: يا معشر النصارى والله لأسألنه عن مسألة يرتطم فيها كما يرتطم فيها الحمار في الوحل فقال له: سل، فقال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت باثنين حملتهما جميعاً في ساعة واحدة وولدتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنا في ساعة واحدة ودفنا في قبر واحد عاش احدهما خمسين ومائة سنة وعاش الاخر خمسين سنة من هما ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: عزير وعزرة كانا، حملت أمهما بهما على ما وصفت، وضعتهما على ما وصفت وعاش عزير وعزرة كذا وكذا سنة ثم أمات الله تبارك وتعالى عزيراً مائة سنة ثم بعث وعاش مع عزرة هذه الخمسين سنة ماتا كلاهما في ساعة واحدة، فقال النصراني يا معشر النصارى: ما رأيت بعين قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردوني، قال الراوي: فردوه الى كهفه ورجع النصارى مع أبي جعفر عليه السلام.[1]

(١) . الكافي. الكليني ج ٨/ ص ١٢٢.

رحيله عليه السلام

أوصى الإمام محمد الباقر عليه السلام الى ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعدة وصايا كان من بينها ما يلي:

١. انه قال له: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، فقال له الإمام الصادق: جُعلت فداك والله لأدعنهم، والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً(١).

٢. أوصى ولده الصادق عليه السلام أن يكفّنه في قميصه الذي كان يصلي فيه(٢) ليكون شاهد صدق عند الله على عظيم عبادته، وطاعته له.

٣. إنه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى(٣). ولعل السبب في ذلك يعود الى أن منى أعظم مركز للتجمع الاسلامي، ووجود النوادب فيه مما يبعث المسلمين الى السؤال عن سببه، فيخبرون بما جرى على الإمام أبي جعفر عليه السلام من صنوف التنكيل من قبل الامويين واغتيالهم له، حتى لا يضيع ما جرى عليه منهم ولا تخفيه أجهزة الاعلام الأموي.

وسرى السم في بدن الإمام أبي جعفر عليه السلام، وأثّر فيه تأثيراً بالغاً، وأخذ يدنو اليه الموت سريعاً، وقد اتجه في ساعاته الأخيرة بمشاعره وعواطفه نحو الله تعالى، فأخذ يقرأ القرآن الكريم، ويستغفر الله، فوافاه الأجل

---

(١) اصول الكافي: ٣٠٦/١

(٢) صفة الصفوة: ٦٣/٢، تاريخ ابن الوردي: ١٨٤/١، تاريخ أبي الفداء: ٢١٤/١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٢/١١.

المحتوم ولسانه مشغول بذكر الله فارتفعت روحه العظيمة الى خالقها، تلك الروح التي أضاءت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام والتي لم يخلق لها نظير في عصره.

وقد انطوت برحيله أروع صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية التي أمدّت المجتمع الاسلامي بعناصر الوعي والازدهار.

وقام ولده الإمام الصادق عليه السلام بتجهيز الجثمان المقدس فغسّله وكفنه، وهو يذرف أحر الدموع على فقد أبيه الذي ما أظلت على مثله سماء الدنيا في عصره علماً وفضلاً وحريجة في الدين.

ونقل الجثمان العظيم. محفوفاً بإجلال وتكريم بالغين من قبل الجماهير. الى بقيع الغرقد، فحفر له قبراً بجوار الإمام العظيم زين العابدين عليه السلام وبجوار عم أبيه الإمام الحسن سيد شاب أهل الجنة عليه السلام وأنزل الإمام الصادق عليه السلام أباه في مقرّه الأخير فواراه فيه، وقد وارى معه العلم والحلم، والمعروف والبر بالناس.

لقد كان فقد الإمام أبي جعفر عليه السلام من أفجع النكبات التي مُني بها المسلمون في ذلك العصر، فقد خسروا القائد، والرائد، والموجه الذي بذل جهداً عظيماً في نشر العلم، وبلورة الوعي الفكري والثقافي بين المسلمين.

توفي وعمره الشريف ٥٧ سنة .

وكانت سنة وفاته في سنة ١١٤ هـ .

اعتذار

إذا كان الإمام الباقر عليه السلام خليفة الرحمن وعدل القرآن لا يفارقه وهو من سلسلة العترة المباركة وهم الثقل الثاني مع الثقل الاكبر القرآن الكريم

وإذا كان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يبعث سلامه بيد جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه الى الإمام الباقر عليه السلام دون سواه من العلماء والفقهاء، وما اكثرهم في زمن الإمام الباقر عليه السلام دون سواه من أبناء الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.

هذا السلام مع حديث الثقلين وحديث الأئمةاثني عشر عليهم السلام مع احاديث كثيرة، نعلم من كل هذا وذاك انه الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وهذا هو عذرنا إن لم نصل الى تلك القمة السامقة

لكن نقول ما قاله أخوة يوسف

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

وندعو الله سبحانه « مع علمنا بقول رسوله الاكرم صلى الله عليه وآله المرء مع من أحب يوم القيامة »

إن يحشرنا معهم

والحمد لله رب العالمين

المصادر

القُرآنُ الكَرِيم

١- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.

٢- دلائل الإمامة/ محمد بن جرير الطبري.

٣- معجم رجال الحديث/ السيد أبو القاسم الخوئي.

٤- بصائر الدرجات/ محمد بن الحسن الصفّار.

٥- رجال الكشي/ الكشي.

٦- الطبقات/ ابن سعد.

٧- التفسير والمفسرون/ محمد هادي معرفة.

٨- الأمالي/ الشيخ الصدوق.

٩- الكافي/ الكليني.

١٠- وفيات الأعيان/ ابن خلكان.

١١- وسائل الشيعة/ الحر العاملي.

١٢- تفسير فرات الكوفي/ فرات الكوفي.

١٣- المحاسن/ البرقي.

١٤- تفسير الأمثل/ ناصر مكارم الشيرازي.

١٥- تفسير التبيان/ الشيخ الطوسي.

١٦- مستدرك الوسائل/ النوري.

١٧- جامع المقاصد/ الكركي.

١٨- الاستبصار/ الشيخ الصدوق.

١٩- منتقى الجمان/ الشيخ حسن بن الشهيد الثاني.

٢٠- الفصول المهمة/ الحر العاملي.

٢١- مرآة العقول/ العلامة المجلسي.

٢٢- شرح اللمعة الدمشقية/ الشهيد الثاني (أحمد بن زين الدين العاملي).

٢٣- كشف الغمة/ الأربلي.

الفهرس

مقدمة ٣
مواجهة السلطة للإمام ٥
الأسلوب الأول ٦
الأسلوب الثاني ٧
الأسلوب الثالث ٨
الأسلوب الرابع ٩
الإمام والقرآن ١٢
المدارس التفسيرية ١٧
مدرسة مكة ١٧
مدرسة المدينة ١٨
مدرسة الكوفة ١٨
مدرسة البصرة ١٨
مدرسة الشام ١٩

الإمام وعلم الفقه ٢٦
الإمام وعلم الاقتصاد ٣٠
مناظراته ٣٢
المناظرة الأولى ٣٢
المناظرة الثانية ٣٦
المناظرة الثالثة ٣٨
المناظرة الرابعة ٣٩
رحيله ٤٢
اعتذار ٤٤
المصادر ٤٥

تعزي

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه

والمراجع العظام والعالم الإسلامي كافة

بذكرى استشهاد باقر علوم الأولين والآخرين

الإمام

محمد بن علي عليهما السلام